

مصير أولمرت يتأرجح بين خلافاته الداخلية وانسداد الأفاق أمامه

فلسطين / عدنان أبو عامر

الحالية، تبرز الخلافات سريعة ومتلاحقة، ففي الوقت الذي انتخب فيه على أساس خطة التجميع والانطواء، إذا بالخطة تفشل على الفور، بعد اندلاع المواجهة العسكرية الضارية في قطاع غزة ولبنان، وأثبتت صواريخ المقاومة أن الانسحاب أحادي الجانب لن يجعل (إسرائيل) في مأمن منها.

ثم خوض حرب لبنان، التي مني في أعقابها بهزيمة نكراء، وقبل استخلاص الدروس والعبر، إذا به يعلن مبادرة لوقف إطلاق النار مع قوى المقاومة الفلسطينية، الأمر الذي جعله عرضة لجملة من الانتقادات الداخلية والخارجية، وتمحورت هذه الانتقادات في سبب التوقيت المماجئ لهذه الخطوة، وبالتالي بدأت إثارة بعض الأسئلة، ومنها:

لماذا الآن بالذات؟ هل لأن حرب لبنان انتهت بإخفاقات متعاقبة، والدولة تمتلئ بلجان التحقيق؟ بحيث بدأت مكانة أولمرت تشهد حالة تدهور مستمر في استطلاعات الرأي العام؟ حيث أكدت أغلبية ساحقة من الجمهور أنها خائبة الأمل من زعامته الشخصية ومن سلوكه السياسي.

علماً بأن التخطيط الحاصل لدى أولمرت في البرنامج السياسي، له علاقة وثيقة بالنتائج الكارثية للحرب الأخيرة، ولهذا تأكد الاعتقاد بأنه يعمل على نجاته الشخصية، ذلك أن الفضل في حرب لبنان، الذي تمثل في جبهة داخلية وجيش غير مستعدين، ومليون لاجئ يهودي يهربون من منازلهم، ونار غير متوقفة لصواريخ «القسام»، كل هذه المشاهد أكلت من صورة (إسرائيل)، جيشاً وحكومة، كدولة ذكية ومقاتلة.

ثم جاء الانتقاد الأشد قسوة من داخل ائتلافه الحكومي ومن المعارضة على حد سواء، في سؤاله عن طبيعة وكيفية اتخاذ قراره بوقف إطلاق النار وبدء الحوار مع السلطة الفلسطينية، بمعنى هل جاء قرار التهدة بذات العجلة الذي

ففي حين اعتبر أرييل شارون قبل وصوله إلى سدة الحكم في (إسرائيل) أحد النخب العسكرية الرمزية في تاريخها، رجل قوي لا يخاف محاربة من يسميهم «الأعداء العرب» والانتصار عليهم، رجل لا يكل ولا يمل، لذلك شبهه بالبلدورز. ولا يُمكن لأحد في (إسرائيل) أن يطعن في مصداقيته الأمنية أو الوطنية، إضافة إلى أنه واحد من جيل المؤسسين للدولة العبرية، ومع انتهاء انسحاب القوات العسكرية من قطاع غزة، تحول إلى مركز الإجماع الإسرائيلي، بل إن خصومه في اليسار أصبحوا يرون فيه «مُعتبراً عن طموحاتهم».

وهكذا، بدت المهمة أمام أولمرت صعبة جداً، خصوصاً بسبب صورته لدى الإسرائيليين، فقد غدا بالنسبة لهم سياسياً ماكراً ومثيراً للمشاكل ويحب التصادم مع الجميع، شخص طالما رافقته الإشاعات حول تورطه بالفساد، وماضيه العسكري لا يبدو لامعاً بشكل خاص، حيث أن أقصى ما وصل إليه في الجيش كان رتبة ضابط لإحدى فرق المشاة.

ضبابية الأجندة السياسية

لعل أشد تعبير وأقوى وصف وجه لأولمرت، كان ما عنونه يوثيل ماركوس كبير المحللين السياسيين الإسرائيليين مؤخراً في مقال له وجاء مكوناً من كلمتين: «خطاب هباب»، واصفاً الخطاب الذي ألقاه أولمرت مؤخراً في إحدى الاحتفالات الرسمية.

جاء هذا العنوان القاسي ليلخص مسيرة عام كامل تقريباً منذ أن كان أولمرت قائماً بأعمال رئيس الحكومة السابق شارون، منذ كانون الثاني/يناير الماضي، فقد اعتاد وحكومته طوال هذه الفترة أن يدير الدولة من خلال الأحابيل الإعلامية، والإخفاقات والتحقيقات البوليسية تدور حوله، وهكذا تمكن بجدارة من إعطاء الانطباع بأنه رجل فاشل في إدارة الدولة. وعند الحديث عن البرنامج السياسي للحكومة

ما زال رئيس الحكومة الإسرائيلية إيهود أولمرت غارقاً في مشاكله الداخلية، سواء كانت مع رفاقه في حزب كاديما، أي خلافات من داخل البيت، أو خلافات مع شركائه في الحكومة، لاسيما من حزب العمل، الأمر الذي يندر بمزيد من عواصف قادمة قد تؤدي بحكومته.

لقد تعددت المشاكل التي تواجه أولمرت وتهدد حكومته، سياسية واقتصادية وأمنية، مما جعله مشتت الذهن، موزع الأفكار، ويبدو متناقضاً بين خطاب وخطاب، في محاولات حثيثة منه لإيجاد حلول لها، حتى لو كانت حلولاً مؤقتة، علماً بأن هذه المشاكل لم تكن وليدة اللحظة، بل إنها ولدت لحظة تشكيله لحكومته، ذلك أن رئيس الحكومة لم يشكل لدى أعضاء حزبه أولاً، وباقي عناصر ائتلافه ثانياً، تلك الشخصية التي يقع عليها إجماع نسبي في الأوساط الحزبية، وبالتالي جعله عرضة لازمة وأخرى بين الحين والآخر.

غياب الشخصية القيادية

هذه التهمة كانت وما زالت التهمة الأشد الموجهة لأولمرت، فقد وقف ذلك تحدياً أساسياً أمامه، فلأول مرة في حياته السياسية، تلقى المسؤولية العليا على كتفيه، ولم يمنحه الجمهور مائة يوم لإثبات جدارته السياسية، بل كانت الأشهر الأربعة الأولى كفيلة بإثبات فشله على كافة المستويات، لاسيما الأمنية والسياسية، فضلاً عن مهمات أخرى كانت بانتظاره.

أكثر من ذلك، فإن أهم المشاكل التي واجهت أولمرت داخل حزبه كاديما، ارتبطت بوجوده على رأس أطلق عليه اسم «حزب النجوم»، في ظل وجود أسماء ثقيلة العيار أمثال: شاؤول موفاز، آي ديختر، تسيبي ليفني، مائير شطريت، وغيرهم، وهو حزب بلا هيكل عظمي وجهاز حزبي، وفوق كل هذا مثل أمامه رهان مصيري ارتبط بقدرته على إقناع الجمهور الإسرائيلي بأنه خليفة جدير لشارون.